

حسن ، ولا يتناقى الرضا والصبر بخلاف البكاء عليه والحزن لفوت حظ الحى منه ،
 فاذا اقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة
 لا من جهة الحزن . فالحزين على مصيبة فى دينه ، وعلى مصائب المسلمين عموما ،
 فهذا يثاب على ما فى قلبه من حب الخير وبغض الشر ، وتوابع ذلك . ولكن الحزن
 على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد ، وجلب منفعة ودفع مضرة
 نهى عنه ، وكان حسب صاحبه الأثم عنه من جهة الحزن ، وأما إن أفضى الى ضعف
 القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله كان مذموما عليه من تلك الجهة ،
 وإن كان محمودا من جهة أخرى . فانه إن كان المحزون عليه لا يمكن استدراكه
 لم ينفع الحزن . فالعاقل يدفعه عن نفسه ولا يضم الى مصيبته أخرى . وليعلم أنه
 سيدلو بعد حين والله أعلم *

﴿ الباب الثالث فى تحريم النذب والنياحة وشق الثياب ﴾

النذب اسم للبكاء على الميت وتعداد محاسنه ، قاله الجوهري ، والاسم الندبة
 بالضم ، وقيل تعداد شمائل الميت فيقال : واكرماه واجبلاه والهفاء . والنوح قال
 القاضى عياض : هو اجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات ، وذكر فى المغنى أنه
 تعداد محاسن الميت بلفظ النداء ، إلا أنه يكون بلفظ الواو وربما زيد فيه الالف
 والهاء مثل قولهم : وارجلاه واجبلاده وانقطع ظهراه ونحوه . وقال غيره : قال أهل
 اللغة النياحة اسم لاجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات كما ذكر القاضى عياض
 والتناوح التقابل ، ثم استعمل فى صفة بكأتهن بصوت ورنه وندبة . واعلم رحمك الله
 أن المطلوب فى المصيبة السكون والصبر ، والرضاء بقضاء الله تعالى ، والحمد
 والاسترجاع والصدقة عن المصاب به والدعاء له ، وأما النذب والنياحة وشق

الجويوب واطم الحدود وقول المنكر ، كل هذا ينافي ما ذكر . وقد نص الامام احمد رحمه الله على تحريم النذب والنياحة : قال في رواية حنبل : النياحة معصية . وقال أصحاب الشافعي وغيرهم : النوح حرام . وقال ابو عمر بن عبد البر : أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء . وقال أبو الخطاب رحمه الله في الهداية : ويكره النذب والنياحة وخش الوجوه وشق الجيوب والتحنى . وهذا قول ضعيف مصادم لما ورد من السنة . وذكر الشيخ في المغنى قال : ونقل حرب عن احمد كلاما فيه احتمال اباحة النوح والنذب . قال : واختاره الخلال وصاحبه لأن وائلة بن الاسقع ، وأبا وائل كانا يسمعان النوح ويبكيان . ثم قال : وظاهر الاخبار تدل على التحريم انتهى كلامه . واستنادهم في ذلك لا كثر مروية عن بعض الصحابة والسلف لا ترد ماورد في الصحاح والمسانيد . فانهم قالوا قد روى حرب عن وائلة بن الاسقع وأبي وائل : انما كانا يسمعان النوح ويبكيان . قالوا : وقد ورد في الصحيح من حديث أم عطية قالت لما أنزلت هذه الآية : (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين) الى قوله : (ولا يعصينك في معروف) كان منه النياحة فنهانا عن النياحة ، فقبضت امرأة منا يدها فقالت : فلانة اسعدتني فانما أريد أن أجزيها . قال : فما قال لها شيئا فذهبت فانطلقت ثم رجعت فبأيعها . وفي لفظ في الصحيح قالت أم عطية : يا رسول الله الا آل فلان فانهم أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي أن أسعدهم . فقال : الا آل فلان والجواب عن ذلك أن المرأة التي سكت عنها أن ذلك خاص بها لوجهين : أحدهما أنها حديثة عهد بالاسلام وربما كان فيه تنفير لها عنه ، الثاني أنه قال لغيرها لما سأله ذلك قال : لا إسعاد في الاسلام . فاطلاقه لها وحجره على غيرها يدل على الخصوص . وعلى الرواية الاولى : أن امرأة وقبضت يدها ولم تباع الا بعد الاسعاد فلا إشكال ، وقد حكى بعض المبايعات القصة ولم تستثن أحدا . فما ورد في سنن

أبي داود من حديث أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات قالت : كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه ، فيه أن لا نخمش وجها ولا ندعوا ويلا ولا نشق جيباً ولا ننبش شعراً .

﴿ فصل ﴾

فيما ورد من تحريم ذلك وما ورد من الوعيد عليه
عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » رواه البخارى ومسلم . وعن أبي بردة عن أبي موسى قال جمع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فاقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : إني برى ممن برى منه محمد ﷺ إن رسول الله ﷺ برى من الصالحة والخالقة والشاقة . رواه البخارى ومسلم عن الحكم بن موسى ، إلا أن البخارى لم يذكر أنه حدث به بل قال : وقال الحكم بن موسى فهو عنده معلق * قوله الصالحة يعنى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والخالقة التى تحلق شعرها ، والشاقة التى تشق ثوبها * وعن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح ، فهاوت منا امرأة غير خمس نسوة ، أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان ، وابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى . رواه البخارى وهذا لفظه . ومسلم . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم على النساء حين يآلهن ، أن لا ينعجن ، فقلن : يا رسول الله إن نساء أسعد ننافى الجاهلية أفنساعدهن فى الاسلام ؟ فقال : « لا اسعاد فى الاسلام » رواه الامام أحمد . وعن أبي مالك الاشعرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع فى أمى من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر فى الاحساب والطعن فى الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة » .
وقل : « النائحة اذا لم تقب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع

من جرب « انفراد باخراجه مسلم . وفي حديث جابر في قصة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم وفيه ، ألم تنه عن البكاء ؟ قال : « لا ولكن نهيت عن صوتين أحقن فاجر بن صوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنه شيطان » الحديث رواه الترمذى . وكذلك تقدمت قصة قتل زيد بن حارثة وأصحابه من حديث عائشة قالت : لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة وأنا أنظر من صابر الباب (شق الباب) فأتى رجل فقال : يا رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن ، فأمره يذهب فينهاهن ، فذهب فاتاه فذكر أنهن لم يطعنه ، فأمره الثانية أن ينهاهن ، فذهب ثم أتاه فقال : والله لقد غلبنا يا رسول الله قالت . فرجعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذهب فاحث في أفواههن من التراب » قالت عائشة : فقلت أرغم أنفسك ، والله ما تفعل ما أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناء . رواه البخارى ومسلم وهذا الموضع وعن عبيد بن عمير عن أم سلمة قالت : لما مات أبو سلمة قلت غريب وفي أرض غريبة لا بكينه بكاء يتمحدث عنه ، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة من الصعبد تريد أن تسعدنى ، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أتريدن أن يدخل الشيطان بيتاً أخرجه الله مرتين ؟ » فكففت عن البكاء فلم ألبك انفراد باخراجه مسلم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النياحة على الميت من أمر الجاهلية فان النائحة اذا لم تب قبل أن تموت فأنها تبعث يوم القيامة عليها سربال من قطران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار » رواه ابن ماجه من رواية عمر بن راشد الهامى وقد ضعفه غير واحد . وقد روى في صحيح مسلم باتم من هذا وأبين * وعن أبي امامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن الخامشة وجهها والشاقة ثوبها والداعية بالويل والنبور .

رواه ابن ماجه . والنبور الهلاك - ومنه قوله تعالى : « دعوا هنا لك نبوراً » أى صاحبوا واهلا كاه . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة . رواه أبو داود من رواية عطية العوفى وقد تكلم فيه
 * (فصل) *

فما ورد من عذاب الميت بالنيابة

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الميت يعذب فى قبره بما ينح عليه » وفى رواية يعذب بما ينح عليه . ولم يذكر فى قبره رواه البخارى ومسلم * وعن المغيرة بن شعبه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه من ينح عليه يعذب بما ينح عليه » رواه البخارى ومسلم * وعن أسيد بن أبى أسيد عن موسى بن أبى موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الميت يعذب ببكاء الحى اذا قالت النائحة واعضدها وانصرها واكسبها جبد الميت وقيل له : أنت عضدها أنت ناصرها أنت كاسبها ؟ فقلت : سبحان الله يقول الله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . فقال أحدثك عن أبى موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هذا فاينا كذب ؟ فوالله ما كذبت على أبى موسى ولا كذب أبو موسى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه الامام أحمد . وعن المغيرة ابن شعبه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن كذبا على ليس ككذب على أحد » من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ينح عليه يعذب بما ينح عليه » رواه البخارى وهذا لفظه ومسلم . وعن النعمان بن بشير قال : أغشى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى وتقول : واجبلاه واكذا وكذا تعدد عليه فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً الا وقد قيل لى أنت كذلك ؟ فلما مات لم تبك عليه . رواه البخارى * وروى الترمذى فى جامعه عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : « ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاله واسيداه أو نحو ذلك الا وكل به ملكان يلهمانه أهكذا كنت » قال الترمذى حديث حسن غريب * قوله - يلهمانه - اللهم الدفع بجميع اليد في الصدر .

﴿ فصل ﴾

وليعلم أن البكاء المجرد ليس فيه منفعة للميت البتة وإنما ينفعه عمله كما في صحيح البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يتبع الميت ثلاث ، أهله ، وماله ، وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله » وفي الصحيحين : اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به من بعده ، أو ولد صالح يدعو له ، فلا منفعة للميت بالبكاء والاتزعاج قال أبو الفرج بن الجوزى أما بعد : فاني رأيت عموهم الناس ينزعجون لتزول البلاء انزعاجا يزيد على الحد كأنهم ما علموا أن الدنيا على ذا وضعت . وهل ينتظر الصحيح الا السقم ، والكبير الا الهرم ، والموجود سوى العدم . كما قيل :

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة وميت ومولود (وبشر وأحزان)
وما أحسن ما روى عن بعض السلف أن رجلا جاءه وهو يأكل طعاما . فقال له : قد مات أخوك ، أعظم الله أجرك فيه . فقال : أقعد وكل ، فقد علمت ذلك ، فقال من أعلمك وما سبقني اليك أحد ؟ قال قوله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) ثم قال : ولعمري أن أصل الاتزعاج لا ينكر اذ الطبع مجبول على الجزع من حلول المنايا ، وإنما ينكر الافراط فيه والتسكيف ، كمن يخرق ثيابه ويلبس الثياب المزدولة عند موت قريبه ، ويلطم وجهه ، ويعترض على القدر ، وهذا ومثله وأكثرم منه لا يردفائتا ، لكنه يدل على خور الجازع ويوجب العقوبة مع ما يفوته من الأجر

والثواب ، قال بعض الحكماء : إذا كان الصبر محمودا عند المصائب ومرغوبا فيه عند حاول النوائب ، فالجزع مذموما بكل مقال ، وصاحبه ملوما في كل حال فتمجّل المحمود عند العقلاء أحسن ، وتجنب المذموم من الخصال أزين .

* (فصل) *

وفي بعض ما تقدم من أحاديث النهي هذه كفاية لمن تدبرها ، وكيف لا تكون هذه الخصال القبيحة منهي عنها وهي مشتملة على التسيخط على الرب عز وجل الفـعال لما يشاء ، الحاكم بما يريد ، المتصرف في عبده بما يختار من موت وغرق وحرق ، وغير ذلك مما قضاء وقدره وامضاء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بل فعل النوح ، وشق الثياب ، ولطم الحدود ، وخش الوجوه ، ونش الشعر ونفقه ، والتحفي ، وتسويد الوجه واليدن ، والدعاء بالويل والثبور ، وغير ذلك من الاقوال والافعال المنكرة التي ورد الشرع بالنهي عنها ، وذم فاعلها وإن فاعلها شرع في الدين مالم يأذن به الله ولا رسوله ، وهو مناف للرضا والصبر ، ويضر بالنفس والبدن ، ولا يرد من قضاء الله وقدره شيئا . وقد بلغني عن أناس أعرفهم أهيبوا بمصيبة ازعجوا أنفسهم لاجل مصابهم ببعض ما ذكر فأورثهم ذلك مرضا وحى ، فاذا استسلم المصاب وانقاد و وكل الأمر لمن بيده الخلق والأمر . وعلم أن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسل ، فتبع الرسول ﷺ فيما أمره به وفيما نهاه عنه ، وكان مما جاء به تحريم هذه الافعال والاقوال المنكرة التي تقدم ذكرها . بل العين تدمع والقلب يحزن ولا تقول ما يسيخط ربنا . فاذا سمع المصاب ذلك فاطاع وانقاد حصلت له السعادة الأبدية باتباعه الرسول في أقواله وأفعاله لقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الآية

﴿ فصل ﴾

والذى ينبغى أولاً من غلب على الظن انه يصاب بالموت فى مرضه أن يعامل بأحسن المعاملات بما ينفعه فى قبره ويوم معاده ، فيذكره الآخرة ، ويأمره بالوصية والتوبة ، ويلقنه شهادة أن لا إله إلا الله لتكون آخر كلامه . ويكون قبل ذلك قد نهى عن لطم الحدود وشق الثياب وتمزيقها ، ونشف الشعر ورفع الصوت بالندب والنياحة وغير ذلك من قول وفعل منكر . ويكون مع ذلك فى هذه الحالة رجاءه بالله أكثر من خوفه ، وهو كثير الحمد والاسترجاع والرضاء عن الله عز وجل * وقد روى ابن أبى الدنيا بإسناده عن محمد بن مسلمة قال : بلغنى أن رجلاً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله أوصنى ولا تكثر على . قال : « لا تتمم الله عز وجل فى شئ قضاء لك » * وروى أيضاً بإسناده قل لعائشة رضى الله عنها : ما كان أكثر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته إذا خلا . قالت : كان أكثر كلامه إذا خلا فى بيته « ما يقضى من أمر يكن » . فهذا رسول رب العالمين يقول هذه المقالة وهو أعرف الخلق وأعلمهم بالله ، فإذا وطئ العبد نفسه على أن ما يقضى من أمر يكن لا محالة فانهاب النفس والبدن فيما لا يجدى شيئاً ليس من حصافة العقل . ويعلم أن الدنيا موضوعة على السكر ، فالبناء الى تقض ، والجمع الى التفريق ، ومن رام بقاء ما لا يبقى كان كمن رام وجود ما لا يوجد ، فلا ينبغى أن يطلب من الدنيا ما لم توضع له *

﴿ فصل ﴾

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه وإن الميت يعذب بالنياحة عليه » وقد تقدمت هذه الأحاديث فاختلف السلف والخلف فى ذلك . فقالت طائفة : الله يتصرف فى خلقه بما يشاء وأفعال الله لا تعلل . ولا فرق بين التعذيب بالنوح عليه والتعذيب بما هو منسوب اليه . لأن الله تعالى * خالق الجميع

والله تعالى يؤلم الاطفال والبهائم والمجانين بغير عمل عملوه . وقالت طائفة أخرى :
 هذه الأحاديث لا تصح عن رسول الله عليه وسلم وقد أنكرتها عائشة رضي الله عنها
 واحتجبت بقوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . ثم أحاديث لم تذكرها بعد
 وهي مما استندت بها عائشة رضي الله عنها (منها) عن عروة قال : ذكر عند عائشة
 أن ابن عمر رضي الله عنهما يرفع ذلك الى النبي ﷺ : « إن الميت يعذب في قبره
 ببكاء أهله » . فقالت : وهل انما قال النبي ﷺ : انه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وان
 أهله ليعذبون عليه الآن ، وذلك مثل قول النبي ﷺ : قام على القليب يوم بدر
 وفيه قتلى بعض المشركين . فقال ما قال : انهم ليسمعون ما أقول وقد ذهل . انما قال :
 انهم ليعلمون انما كنت أقول لهم حق . ثم قرأ : (إنك لا تسمع الموتى وما أنت بسمع
 من في القبور) . يقول : « تموتوا قاعدهم من النار » رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه .
 هكذا ساقه بطوله الحافظ الضياء . وعن عبد الله بن عبيد الله بن أبي ملكية . قال :
 توفيت بنت ايمان بمكة وجئنا لشهدها ، وحضر ابن عمر وابن عباس ، واني لجالس
 بينهما أو قال جلست الى أحدهما ثم جاء الأخير فجلس الى جنبي . فقال عبد الله
 ابن عمر لابن عباس : ألا تنهى عن البكاء فان رسول الله ﷺ قال : « إن الميت
 ليعذب ببكاء أهله عليه » . فقال ابن عباس : قد كان عمر يقول بعض ذلك . ثم حدث
 قال : صدرت مع عمر من مكة حتى اذا كنا بالبيداء اذا هو بركب حتى أتى ظل
 سمرة قال : اذهب فانظر من هؤلاء الركب ؟ فنظرت فاذا صهيب فاخبرته فقال : ادعه
 لي ، فرجعت الى صهيب فقلت له ارتحل فالحق أمير المؤمنين ، فلما أصيب عمر دخل
 صهيب يبكي يقول : وأخاه واصحابه . فقال عمر : يا صهيب أتبكي على وقد قال رسول
 الله ﷺ : « إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه » . قال ابن عباس فلما مات
 عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت : يرحم الله عمر ، والله ما حدث رسول الله ﷺ ان
 الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، ولكن رسول الله ﷺ قال : « ان الله ليزيد الكافر

عذابا يبكاء أهله عليه . وقالت : حسبكم القرآن (ولا تزر وازرة وزر أخرى) قال ابن عباس رضى الله عنهما عند ذلك : (والله هو أضحك وأبكى) قال ابن أبي مليكة : والله ما قال ابن عمر شيئا . رواه البخارى وهذا لفظه ومسلم . وفى صحيح البخارى ومسلم ان عائشة رضى الله عنها ذكر لها ان عمر وابنه عبد الله يقول : ان الميت ليعذب ببكاء الحى . قالت : انكم لتحدثونى عن غير كاذبين ولا متهمين ولكن السمع يخطئ وفى لفظ قالت : يغفر لأبى عبد الرحمن اما انه لم يكذب ولم يكنه نسي وأخطأ انما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكى عليها فقال : « انهم ليبكون عليها وانها لتعذب فى قبرها »

وقالت طائفة أخرى : قوله إن الميت ليعذب بنوح أهله ، محمول على من أوصى به أو كانت من عادتهم ذلك ولم ينههم . يعنى يوصى قبل موته أن لا يحدثوا قولا ولا فعلا منكرا . وهذا كان مشهورا عند العرب وهو كثير فى أشعارهم كقول طرفة :
إذا مت فانهينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد
وقال لبيد :

قوموا فقولوا بالذى قد علمتما ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا حليفه أضع ولا خان الصديق ولا غدر

وقالت طائفة أخرى : هو محمول من سنته وسنة قومه البكاء والنوح وقد اشتهر ان هذا معروف منهم ، فاذا لم ينههم دخل فى الوعيد لأن ترك نهيه عن البكاء دليل على رضائه به منهم . وهذا قول عبد الله بن المبارك وهذا القول والذى قبله هو قول واحد ، وقد حكى بعض أهل العلم : ان هذين القولين متباينين ولم يظهر لى ذلك والله أعلم * وقال أبو البركات ابن تيمية رحمه الله : هذا القول هو أصح الأقوال كلها وأرجحها لأنه اذا غاب على ظنه فعلمهم له ولم يوصهم بتركه فقد رضى به ، وصار كمن ترك النهي عن المنكر مع القدرة عليه ، فاما اذا أوصاهم بتركه فخالفوه فالله أكرم من

أن يعذبه بذلك * وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد حصل بهذا القول اجراء الخبير على عمومته في أكثر الموارد ، وانكار عائشة رضي الله عنها لذلك بعد رواية الثقات لا يعول عليه . فاتهم قد يحضرون ما لا تحضره ، ويشهدون ما تنفي عنه ، واحتمال السهو والغلط بعيد جداً خصوصاً في حق خمسة من أكابر الصحابة ، وقد تقدم ذكره عن أكثر من خمسة من الصحابة . وقوله في اليهود لا يمنع أن يكون قد قال ما رواه عنه هؤلاء الصحابة في أوقات أخرى ، ثم هي محجوبة بروايتها عنه إنه قال: إن الله يزيد الكافر عذاباً بكاء أهله عليه . فإذا لم يمنع زيادة الكافر عذاباً بفعل غيره مع كونه مخالفاً لظاهر الآية لم يمنع ذلك في حق المسلم أن الله سبحانه كما لا يظلم عبده المسلم لا يظلم الكافر والله تعالى أعلم *

* (فصل) *

واعلم رحمك الله أن هذه الأحاديث لا تحتاج الى شيء من هذه التفسيرات ، وليس فيها بحمد الله اشكال ولا مخالفة لظاهر القرآن ، ولا لقاعدة من قواعد الشرع ، ولا تتضمن عقوبة الانسان بذنب غيره . فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: إن الميت لعقاب بكاء أهله عليه أو بنوح أهله عليه ، وإنما قال إنه ليعذب بذلك . ولا ريب أن ذلك يؤاخذ به ، والعذاب هو الألم الذي يحصل له وهو أعم من العقاب ، والأعم لا يستلزم الأخص . وقد قل النبي ﷺ : « السفر قطعة من العذاب » . وهذا العذاب يحصل للمؤمن والكافر ، ويحصل للميت الألم في قبره بمجاورة أهل البدع والفسق والعصيان ، ويتأذى بذلك كما يتأذى الانسان في الدنيا بما يشاهد من عقوبة جاره . ونص الإمام أحمد : على أن الموتي يتأذون بفعل المعصية عندهم ، فإذا بكى أهل الميت عليه البكاء المحرم ، من لطم الملبود ، وتمزيق الثياب ، وخش الوجوه وتسويدھا ، وقطع الشمر وتنفذ ، ودعا بدعوى الجاهلية ، وكل هذا موجود في غالب جهال أهل زماننا ، فإذا وجدت هذه الأفعال والآقوال على

هذا الوجه حصل الميت الألم في قبره بذلك ، فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه وهذا معنى ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية *

﴿ فصل ﴾

وقد يستحوذ الشيطان على المريض ، فيوسوس له بأنك ستفارق المحبوبات وتخرج من الدنيا الى مكان فظيع موحش ، وتلقى بين أطباق الثرى وكيف يؤمك .
فربما أسخطه على ربه وكرهه لقاء الله عز وجل ، وربما أنطقه بكلام يتضمن نوع إغراض وتسخط . ثم يوسوس لأقاربه بأنه لا بد أن يفوتكم من بره وإحسانه ما يزيد عن الوصف ، أو أنه كان قد نشأ منشأ حسناً ، وقد بدأ يترقى الى المناصب العالية ، فيهيج هؤلاء على البكاء المحرم وفعل مالا يجوز فعله ، ويهيج المريض على الحزن على فراق الدنيا . فينبغي لكلا الطائفتين أن يتداووا بالأدوية الشرعية ، وقد تقدم في الباب الاول ما فيه كفاية من الأدوية الآلهية فلا حاجة الى تكرارها ، ولكن يجاب عن هذا بجوابين :

أحدهما أن الأغلب فيمن يفارقه انه يؤثر فراقه خصوصاً ان كان شيخاً كبيراً ، أو انه شاب أو كهل يحجر على من ذكرته من قرابة أو ولد ونحوه ، أو له خلق شديد وأخص منه إن كان ذا مال ، وقد رأيت في زماننا من كان من أصحاب الأموال وهو محسن لأهله وأقاربه ، فمضى فاضى بوصايا لأقاربه لمن ليس بوارث في الحال ، فلما مات خلف مالا جزيلا ، فاشتغل الوارث وغيره بالمال عن الحزن عليه ، فاخذوا في انحصام عليه وتفرقته . فهذا وهو محسن اليهم بماله وما أخذوه فهو سريع الذهاب ، وأما بره اليهم لو بقي حصل لهم أضعاف ذلك . فلا ينبغي للعبد أن يحزن لفراق من لا يحزن لفراقه . وذكر أبو القاسم بن عساكر : قال أنشدني محمد بن الأشعث لنفسه في ذم الحزن من حيث هو :

قلم القضاء جرى بكل مكوّن يا صاحب الاحزان ماذا تحزن

ان كان سخطك ليس يجلب راحة فرضاك بالبلوى أحق وأحسن
والثاني الرجاء للملاقاة من هو أحب اليه منه ، وما من مؤمن يموت فيؤثر
الرجوع الى الدنيا ولو انها جميعها له إلا الشهيد ، فانه يحب الرجوع ليقاتل مرة
أخرى لما يرى من عظم أجر الشهادة كما سيأتى ذكره بعد . وقد روى الامام أحمد
في مسنده ان النبي ﷺ قال : « مامن نفس مؤمنة مسلمة يقبضها ربها عز وجل
تحب أن تعود اليكم وان لها الدنيا وما فيها »

* (فصل) *

فيما ذكر في النعي

وهو اعلام الناس بموت الشخص على ما يفعله أهل زماننا بالكبير أو بالمشهور
ويرسلون مناديا يعلم الناس به ، قال العلامة ابن القيم في الهدى : وكان من هديه ﷺ
ترك نعي الميت بل كان ينهى عنه ويقول : « هو من عمل الجاهلية » انتهى كلامه وقال
الحافظ ضياء الدين رحمه الله في أحكامه : باب كراهة النعي ، وساق في الباب ثلاثة
أحاديث ، منها عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إياكم
والنعي فان النعي من عمل الجاهلية » قال عبد الله : آذان بالميت . رواه الترمذى
وقال حديث حسن غريب * وعن حذيفة قال : اذا مت فلا تؤذنوا بي أحداً انى أخاف
أن يكون نعيًا ، فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي . رواه
الامام أحمد وابن ماجه والترمذى وهذا لفظه وحسنه . وعند ابن ماجه كان حذيفة
اذا مات له الميت قال : لا تؤذنوا به أحداً إنى أخاف أن يكون نعيًا ، فأتى سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم باذني هاتين ينهى عن النعي . وروى أحمد أيضاً هذه الزيادة كما
رواها ابن ماجه ، لكن لم يقل باذني هاتين * وقال سميد بن منصور : حدثنا اسماعيل
ابن ابراهيم أخبرنا ابن عون قال قلت لابراهيم : أكان النعي يكره ؟ قال : نعم . قال
ابراهيم : اذا توفى الرجل يركب رجل دابته ثم صاح في الناس : انى فلانا . وبأسناده

الى ابن عون قال: سمعت بالكوفة أن شريحاً كان لا يؤذن بجماعة أحد، فذكرت ذلك لمحمد بن سيرين فقال: ان شريحاً كان مكياً^(١)، ما أعلم به بأساً أن يؤذن الرجل صديقه، ويؤذن الرجل جمعه. وذكر بأسناده حدثنا حماد عن ابراهيم انه قال: لا بأس اذا مات الرجل أن يؤذن صديقه وأصحابه إنما يكره أن يطاف في المجالس فيقال: انى فلاناً فعل الجاهلية. وقد روى الترمذى عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبله واسنده أو نحو ذلك الا وكل الله به ملكان يلهزانه أهكذا كنت » قال الترمذى حديث حسن *

والمقصود ان هذه الأحاديث دالة على النهي، وانه من فعل الجاهلية، لكن الأحاديث التي ذكرناها، منها ما يدل على أن النهي إعلام الناس بان فلاناً قدم، ومنها ما يدل على أن النهي هو تعداد صفات الميت، فالظاهر ان كلاهما نهي والله أعلم * وما يفعله الناس اليوم في زماننا من إعلام الناس بالميت والمناداة له، فهو من البدع المنهى عنها. كما ورد في الحديث، فانه مفض الى تأخير الميت لاجل اجتماع الناس له تأخيراً زائداً عن الحد، ويتركون السنة التي من شأنها الاسراع بالجماعة كما ثبت في سنن أبي داود: ان أبا طلحة بن البراء مرض فأتاه النبي ﷺ يعودده فقال: « إني أرى طلحة قد حدث فيه الموت فأذنوني به وعجلوا. فانه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله »

وان كان المراد النهي الذي هو تعداد صفات الميت فيقال الذي ينبغي أن يقال، لا بأس بالكلمات اليسيرة اذا كانت صدقاً لعل وجه النوح والتسخط، فلا يحرم ولا ينافي الصبر ولا يكون من النهي عنه، بل قد نص الامام أحمد رحمه الله أن الكلمات اليسيرة من الصدق لا تنافي الصبر الواجب. يؤيد ذلك ما ثبت في

صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه السكر ، فقالت فاطمة : وا كرب أبتاه ، فقال : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه يا أبتاه الجنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه الى جبريل أنعاه . فلما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : أطابت أنفسكم أن تجمثوا التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وعن أنس أيضاً أن أباً بكر الصديق رضى الله عنه دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع يده بين عينيه ، ووضع يده على صدغيه ، وقال : وانبياؤه ، واخليلاه ، واصفياؤه . رواه الامام أحمد . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعى النجاشي في اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم الى المصلى فصفا بهم ، وكبر عليه أربع تكبيرات . رواه البخارى ومسلم . وفى لفظ لها فقال : استغفروا لأخيكم . وقد تقدم قول النبي ﷺ : وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون . وهذا ونحوه من الأقاويل التى تقدمت ليس فيها تسخط على الرب تبارك وتعالى بما قضاه وقدره ، ولا ينافى الصبر الواجب ، ولا ياتم به قائله والله أعلم *

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ فيمن أصيب بفقد ثلاثة من الولد فاكثر ﴾

قال البخارى : باب فضل من مات له ولد فاحتسب . وقوله تعالى : (وبشر الصابرين) حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم من الناس يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » ورواه مسلم من وجه آخر عن أنس * قوله لم يبلغوا الحنث أى لم يبلغوا سن التكليف الذى يكتب فيه الحنث * وروى البخارى من حديث معبد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي